التوجيه بالعرف في تفسير السراج المنير جمعاً ودراسة

د٠ محمد بن عبد الله الوزره الدوسري (*)

المقدمة:

الحمد لله الذي منَّ على عباده بكتابه المبين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فتفسير القرآن الكريم وبيان معانيه من أشرف العلوم، وهو من خير ما يُشتغل به، إذ هو من وظائف رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وبه اشتغل السلف الصالح– رضي الله عنهم، فكانوا أعلم الناس بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به.

وقد عُني أئمة التفسير في تفاسيرهم لكتاب الله بما يتعلق بالمصطلحات الفقيه كمصطلح العرف بأنواعه فاستقرؤوا ألفاظ القرآن الكريم وأساليبه، وكشفوا عن كثيرٍ من طرائقه وعاداته، ومن هؤلاء المفسرين الإمام المفسر الخطيب محمد الشربيني– رحمه الله.

فعزمت بعد الاستعانة بالله تعالى على جمع توجيهاته بمصطلح العرف، ودراستها من خلال تفسيره.

وجعلت عنوان البحث: (التوجيه بالعرف في تفسير السراج المنير. جمعا ودراسة).

(*) الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، إنه سميع مجيب الدعاء.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ – وفرة المادة التفسيرية المتعلقة بالتوجيه بالعرف في تفسير السراج المنير.

٢ – تمكن المؤلف من التفسير وعلوم القرآن، وقوته فيهما.

٣ – المكانة التي يتبوؤها الخطيب الشربيني وكتبه بين أهل العلم.

أهداف البحث:

١. جمع توجيهات الخطيب الشربيني بالعرف في تفسيره السراج المنير.

٢. دراسة توجيهات الخطيب الشربيني بالعرف في تفسيره في بحث مستقل.

الدراسات السابقة:

في إطار البحث عن الدراسات السابقة حول هذا الموضوع؛ لم أقف على دراسات تعرضت لجمع توجيهات الخطيب الشربيني بالعرف في تفسيره السراج المنير.

ولكن هناك دراسات مشابهة تحدثت عن العرف أو عادة القرآن ومن أهمها:

١. عرف القرآن الكريم والمعهود من معانيه واستعمالاته وأثره في الترجيح الدلالي، رسالة دكتوراه لأحمد بن فالح الخالدي في جامعة اليرموك، لعام: ٢٠٠٧مـ . ٢٠٠٨م

٢. عادات القرآن الكريم عند الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير–جمعا ودراسة اسم الباحث: محمد بن عمر بن علي عقيلي، الجامعة الإسلامية نوع الرسالة: الدكتوراه تاريخ النشر ١٦/٠٦/١٤٣٥

٣. طريقة القرآن الكريم في تثبيت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، رسالة ماجستير في جامعة الملك خالد لشاهره القحطاني لعام: ٢٠٠٨ م . ٢٠٠٩ م.

٤. عادات القرآن الأسلوبية دراسة تطبيقية رسالة دكتوراه لراشد بن حمود الثنيان، إشراف د / محمد السريع، والمشرف المساعد د/ عبد المحسن العسكر، الكبعة

الأولى عام: ١٤٣٢هـ . ٢٠١١م.

٥. عادات القرآن اللغوية والموضوعية بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٣)، العدد (٢) (رجب ١٤٣١ هـ / يوليو ٢٠١٠ م) للدكتور شافي سلطان العجمي.

٦. لغة الخطاب القرآني في بني اسرائيل (دراسة أسلوبية دلالية) رسالة ماجستير، جامعة النجاح . نابلس . فلسطين، إعداد: لافي محمد محمود زقوت، لعام ٢٠١٠م.

والفرق واضح بين موضوعنا وبين هذه الرسائل والبحوث فموضوعنا محصور ومحدد بأنه (التوجيه بالعرف في تفسير السراج المنير. جمعا ودراسة) فهو مقصور على التوجيه بالعرف في هذا الكتاب دون غيره، أما هذه الرسائل والبحوث بعضها في الجانب اللغوي أو العقدي أو الدلالي أو عند مفسر آخر.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من: مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة تتضمن: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وحدود البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

القسم الأول: التعريف بالخطيب وتفسيره:

المبحث الأول: التعريف بالخطيب الشربيني: اسمه ونشأته، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته، وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الخطيب الشربيني ومنهجه فيه.

المبحث الثالث: التعريف بالعرف، وأهميته، وتقسيماته.

القسم الثاني: دراسة آيات التوجيه بالعرف عند الخطيب.

منهج البحث:

سلكتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وبيان ذلك وفق التالي:

١ – جمع توجيهات الخطيب الشربيني بالعرف في تفسيره السراج المنير.

٢ – ترتيب المادة العلمية المستخرَجة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف.

٣ – وضع كل آية أو مجموعة آيات قبل كلام الخطيب الشربيني فيها.

٤ – إيراد القول التفسيري للخطيب الشربيني في الآية، مع عزوه عند الانتهاء من نقله.

٥ – دراسة قول الخطيب الشربيني في تفسير الآية دراسة مقارنة، وموازنته مع غيره من أقوال أشهر المفسرين.

٦ – توثيق المادة العلمية على النحو التالي:

– عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وكتابتها وفق رسم المصحف العثماني برواية حفص عن عاصم.

– عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها المعتمدة، مع بيان المتواتر منها والشاذ.

– تخريج الأحاديث النبوية، وعزوها إلى مصادرها، والحكم على ما لم يروه الشيخان أو أحدهما.

– إحالة كلام أهل العلم إلى مواضعه في كتبهم.

– إيضاح الغريب من الكلمات، والضبط بالشكل لما يُظن التباسه.

– عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها، وتوثيقها من مصادرها.

– التعريف بغير المشهور من الأعلام تعريفاً موجزاً في الحاشية عند ذكره في أول موضع.

القسم الأول

التعريف بالخطيب وتفسيره

المبحث الأول: التعريف بالخطيب الشربيني

أولاً: اسمه ونشأته:

هو الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، الشافعي، الفقيه، المفسر، المتكلم، النحْوي، الصرفي، يُكنَّى بالخطيب الشربيني، اشتهر بكنيته، ولم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده، نشأ في شربين، وهي مدينة بمحافظة الدقهلية في مصر، ثم انتقل إلى القاهرة واستوطنها حتى توفي، حفِظ القرآن الكريم في صغره، ونشأ طالباً للعلم شغوفاً به، تخرَّج في الجامع الأزهر، ودرَّس فيه، وكان له في الجامع الأزهر زاوية خاصة للتدريس لا يشاركه فيها غيره، تولَّى خطابة الجامع الأزهر، وكانت هذه الوظيفة تعد منصباً رسميًّا في مصر لا يناله إلا كبار العلماء، عُرف بالعلم والزهد والورع، وكان يؤثر عدم الشهرة، ولا يكترِث بأشغال الدنيا(١).

ثانياً: شيوخه:

أخذ الخطيب رحمه الله عن جملة من الشيوخ، وتضلع من العلوم على أيديهم فأجازوه بالإفتاء والتدريس، فدرَّس وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق كثيرون، وممن أخذ عنهم رحمه الله:

الشيخ أحمد البرلسي الملقب عميرة، والشيخ نور الدين المحلي، والشيخ نور الدين الطهواني، والشمس محمد بن عبد الرحمن بن خليل النشلي الكردي، والبدر

---

(١) انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥٦١/١٠)، ومعجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس (١١٠٨/١)، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا (١٦١/١)، والكواكب السائرة للغزي (٧٢/٢)، والخطط التوفيقية لعلي باشا (١٢٧/١٢)، والأعلام للزركلي (٦/٦).

المشهدي، والشيخ شهاب الدين الرملي، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي، وغيرهم[1].

ثالثاً: تلاميذه:

لم تشر المصادر التي ترجمت للخطيب إلى أسماء تلاميذه، لكن من خلال ترجمته يتبين عظيم أثره من خلال جهوده وكتبه.

رابعاً: مؤلفاته:

تبحر الخطيب في العلم حتى صار من أئمة الشافعية في عصره، وله تصانيف كثيرة، منها:

١- تفسيره القيّم: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، طبع لأول مرة في أربعة مجلدات كبار بمطبعة بولاق سنة (١٢٨٥ هـ)، ويعرف بتفسير الخطيب الشربيني.

٢- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، وهو شرح مطول حافل على متن الغاية والتقريب في الفقه الشافعي لأبي شجاع، وقد فرغ من تأليفه سنة (٩٧٢هـ)، طبع لأول مرة في مجلدين بمطبعة بولاق سنة (١٢٩١هـ).

٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، كتاب في الفقه على المذهب الشافعي، شرح به الخطيب كتاب «منهاج الطالبين» للنووي، وهو شرح متوسط، خال من الحشو والتطويل، حاوٍ للدليل والتعليل، والمعوَّل عليه من كلام الشافعي والأصحاب والمتأخرين، وقد كُتِب له القبول التام فأقبل الناس على قراءته وكتابته في حياته، طبع لأول مرة بالمطبعة الميمنية بمصر (١٣٠٨هـ)، في أربعة مجلدات.

٤- شرح شواهد القطر، طبع لأول مرة بمصر سنة (١٢٨٣ هـ).

٥- شرح التنبيه، وهو شرح على كتاب التنبيه في فروع الشافعية لأبي إسحاق

---

(١) الكواكب السائرة للغزي (٧٢/٢)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير لمجموعة من المؤلفين (١٩٦١/٢)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض (٤٨٥/٢).

إبراهيم بن علي الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفى سنة (٤٧٦هـ).

٦- شرح منهاج الدين في شعب الإيمان، وهو للشيخ الإمام أبي عبد الله حسين بن الحسن الحليمي الجرجاني الشافعي، وهو كتاب جليل في نحو ثلاثة مجلدات، فيه أحكام كثيرة ومسائل فقهية، وغيرها مما يتعلق بأصول الدين.

٧- تقريرات على كتاب المطول في البلاغة للتفتازاني.

٨- نور السجية في حل ألفاظ الآجرومية.

٩- فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك.

١٠- الفتح الرباني في حل ألفاظ تصريف عز الدين الزنجاني.

١١- كتاب شرح البهجة في الفقه لابن الوردي.

١٢- رسالة في البسملة والحمد لله.

١٣- مناسك الحج.

١٤- رسالة في بر الوالدين وصلة الرحم.

١٥- المواعظ الصفية على المنابر العليَّة.

١٦- سواطع الحكم؛ وهو شرح على حكم ابن عطاء الله السكندري[١].

خامساً: وفاته: توفي شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني يوم الثامن من شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمائة، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة[٢].

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الخطيب الشربيني

التعريف بتفسير (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير):

لا يخفى على الناظر في هذا التفسير القيمة العلمية لهذا الكتاب ومؤلِفه، فقد

---

(١) انظر: الأعلام للزركلي (٧/٦)، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة (٢٦٩/٨).

(٢) انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥٦١/١٠)، وهداية العارفين (٢٥٠/٦)، والأعلام للزركلي (٦/٦).

جمع فيه الخطيب عدداً من العلوم وضروباً من الفنون، مع دقةٍ في الاختيار، وتحرير، وترجيح، تُبرز سابقة هذا المؤلِف وذائقته، وسلامة منهجه، وقد نصَّ على هذا المنهج في مقدمة تفسيره، وأوضح فيه أنه اقتصر على أصح الأقوال غالباً، وإعراب ما يُحتاج إليه عند السؤال، وترَك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العربية، وإذا ذكر فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات، وقد يذكر بعض الأقوال والأعاريب لقوّة مداركها أو لورودها، ولكن بصيغة (قيل) ليُعلم أن المرضي أوّلها[1].

كما أشار إلى هذا المنهج في خاتمة تفسيره فقال: "فدونك تفسيراً كأنه سبيكة عسجد، أو درٌّ مُنضَّد، جمع من التفاسير معظمها، ومن القراءات متواترها، ومن الأقاويل أظهرها، ومن الأحاديث صحيحها وحسنها، محرّر الدلائل في هذا الفنّ، مظهراً لدقائق استعملنا الفكر فيها إذا الليل جنّ، فإذا ظفرت بفائدة شاردة فادعُ لي بالتجاوز والمغفرة، أو بزلة قلم أو لسان، فافتح لها باب التجاوز والمعذرة" [2].

منهج الخطيب الشربيني في تفسيره:

نهج الخطيب رحمه الله في تفسيره منهجاً وسطاً بين الإطناب والإيجاز، اعتنى فيه بكل ما يتعلق بعلوم القرآن الكريم، وتركزت عنايته فيه على ما يأتي:

١. عنايته بالأسلوب الموضوعي في التفسير حيث بدا ذلك واضحاً في تفسيره.

٢. منهجه في بيان أسماء السور، حيث ذكر أسماء أُخَر لتسعة عشر سورة، منها ما يذكر أسماءها الأخرى دون تعليق عليها، ومنها ما يلتمِس الحكمة من تسميتها بهذه الأسماء، أما باقي سور القرآن الكريم فقد وقف عند أسمائها المذكورة في المصحف.

٣. إطالته في ذكر أسباب النزول معزوةً في الغالب إلى قائليها، وأحياناً لا

(١) التفسير والمفسرون للذهبي (٣٢٠/١).

(٢) السراج المنير للخطيب (٤٥٢/٤).

يعزوها.

٤. اهتمامه الملحوظ بذكر المناسبات بين السور والآيات.

٥. – عنايته بذكر القراءات السبع المشهورة، كما أورد بعض القراءات الشاذة أحياناً مع التنبيه عليها.

٦. اهتمامه بالتفسير بالمأثور، فنقل عن ابن جرير الطبري، والبغوي، وابن كثير، كما نقل كثيراً من أقوال الصحابة والتابعين، أمثال: عائشة، وعلي، وأبو هريرة، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وجابر بن عبدالله، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم رضي الله عنهم.

٧. اعتماده في تفسيره على تفاسير من سبقه كالبيضاوي، والرازي، والزمخشري، وغيرهم.

٨. اهتمامه بالأحكام الفقهية دون توسع، فلا يُسهِب في عرض ومناقشة الاختلافات بين المذاهب الفقهية إلا ما ندر، ولا يذكر من المسائل الفقهية غير ما يُعين على فهم المراد من الآية.

٩. لا يذكر من الأحاديث في الغالب إلا صحيحها، وحسنها، ولذلك نجده يتعقب الزمخشري، والبيضاوي في ذكرهما للحديث الموضوع الطويل في فضائل السور سورة، سورة، كما يُنبّه على الأحاديث الضعيفة إن روى شيئاً منها في تفسيره.

١٠. اهتمامه بتوظيف القاعدة النحوية في استنباط المعاني المرادة من الآيات، فيذكر وجوه الإعراب المحتملة، وينزل الآية على اختلاف الأعاريب، وقد يُرجح واحداً منها ويُدلل على رجحانه، ولكنه التزم بما شرطه على نفسه في مقدمة تفسيره، فلم يُقحم نفسه فيما لا يعني المفسر من ذكر الأعاريب التي لا تمت للتفسير بصلة.

١١. اتخذ منهجاً وسطاً في تفسيره العلمي للآيات الكونية، فيذكر ما ورد فيها من

آثار، ويعتمد على الدلالات اللغوية في بيان المراد منها، كما يذكر أقوال العلماء فيها لكنه مُقِلّ في ذلك.

١٢. لم يخْل تفسيره من ذكر بعض القصص الإسرائيلي، يمر على بعضها مع غرابتها من غير تعقيب لها بتصحيح أو تضعيف، وغالب ذلك فيما يحتمل الصدق والكذب من أخبار بني إسرائيل، وليس فيه طعن في عصمة الأنبياء، ومنها ما يتعقبه بما يدل على ضعفه، أو بطلانه، خاصة في القصص الإسرائيلي المخِلِّ بعصمة الأنبياء.

١٣. يقول بجواز النسخ عقلاً، وجوازه شرعاً، ويردُّ على من ينكره.

١٤. يُكثر من المواعظ والرِّقاق والترغيب والترهيب، ومن يقرأ في تفسيره يلحظ عنايته بهذا الجانب بأسلوب رصين قريب إلى النفس، من غير مبالغة أو تنفير [١].

المبحث الثالث: التعريف بالعرف، وأهميته، وتقسيماته:

أولاً: التعريف بالعرف.

العرف في اللغة: قال عنه ابن فارس: "العين والراء والفاء: أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلًا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة". ثم جعل العرف الذي نحن بصدده من الأصل الآخر فقال: "والعرف: المعروف، وسمي بذلك لأن النفوس تسكن إليه"[٢].

العرف في الاصطلاح: فقد عرفه الشريف الجرجاني بقوله: "العرف: ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول"[٣].

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٢٤٣)، ومناهج المفسرين لمنيع عبد الحليم (ص ٢٦٢)، والاستنباط عند الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير(ص٥٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢٨١/٤).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٤٩).

وذكر بعض العلماء قولًا في تعريف العادة والعرف معًا فقال:" العادة والعرف ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول"(١).

وعند التأمل في تعريفات العرف والعادة: نجد أن تعريفي الجرجاني متفقان من جهة اعتبار العموم فيهما، ومختلفان في أن تعريف العادة اعتبر فيه الاستمرار واعتبر في تعريف العرف الاستقرار، وذلك يفيد أن العادة تحدث أولًا فإذا استقرت النفوس على ذلك الأمر المعتاد أصبح عرفًا.

ونجد أن النسبة بين تعريف العادة وتعريف العرف هي العموم والخصوص من جهة أن الأمر المتكرر يسمى عادة سواء أصدر من واحد أم من عامة الناس، ولا يسمى عرفاً إلا إن صدر من عامة الناس، فالعادة أعم والعرف أخص (٢).

والتعريف المرتضى للعرف ما عرفه به الشيخ عبد الوهاب خلاف، فإنه قال في تعريفه: "هو ما تعارفه الناس، وساروا عليه من قول أو فعل أو ترك"(٣).

وقريب من هذا التعريف تعريف الدكتور عبد العزيز الخياط، فإنَّه قال في تعريفه: " العرف ما اعتاده الناس، وساروا عليه في شؤون حياتهم"(٤).

ثانياً: أهمية العرّف:

العرف حجة معتبرة في الأحكام الشرعيَّة التي وردت مطلقةً في الشرع، ولم يرد فيها تحديدٌ أو تقدير، أو أحال الشارع الاجتهاد فيها إلى تحكيم العرف.

وقد ذهب إلى أصل العمل بذلك عامّة المذاهب الأربعة، وإن اختلفوا في بعض آحاد الصور والحوادث.

---

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين (١١٢/٢).

(٢) السابق نفسه.

(٣) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف (ص ٩٩).

(٤) نظرية العرف لعبد الله الخياط (ص ٢٤).

ثالثاً: أقسام العرف:

١ – العرف العام: هو عرف هيئة غير مخصوص بطبقة من طبقاتها، وواضعه غير متعين، والعرف العام هو: العرف الجاري منذ عهد الصحابة ﷺ حتى زماننا والذي قبله المجتهدون وعملوا به، ولو كان مخالفا للقياس.

مثال ذلك: إذا حلف شخص قائلا " والله لا أضع قدمي في دار فلان " يحنث سواء دخل تلك الدار ماشياً أو راكباً، أما لو وضع قدمه في الدار دون أن يدخلها لا يحنث؛ لأن وضع القدم في العرف العام بمعنى الدخول.

٢ – العرف الخاص: هو اصطلاح طائفة مخصوصة على شيء كاستعمال علماء النحو لفظة "الرفع" وعلماء الأدب كلمة " النقد ".

٣ – العرف الشرعي هو عبارة عن الاصطلاحات الشرعية " كالصلاة والزكاة والحج، فباستعمالها في المعنى الشرعي أهمل معناها اللغوي[١].

ومما يتعلق بهذا المصطلح وله خصوصية بالقرآن الكريم مصطلح أطلقه المفسرون كثيراً، وهو: عرف القرآن والمعهود من معانيه واستعمالاته؛ فإن للقرآن الكريم عرفاً يختص به وطريقةً يتمّيز بها سواء كان ذلك في استعمال الألفاظ لمعانٍ معينة أو في التركيب والأساليب التي يتميّز بها، وسواء أكان الاستعمال استعمالاً أغلبيًّا بأن كانت الكثرة الكاثرة من الاستعمال متفقةً في دلالتها على معنى واحد أو مطرداً بأن يكون الاستعمال في جميع المواد متفقاً على معنى واحد أو عادة في أسلوب القرآن الكريم[٢].

ويعبر عنه بمراعاة الأصل في القرآن، أو ما يُسمى بطريقة القرآن، أو معهود القرآن، أو عادة القرآن، أو عُرف القرآن، أو الاستعمال الأغلب في القرآن على

---

(١) انظر: درر الحكام في شرح مجلة الأحكام لعلي أفندي (١/٤٥)، وشرح منظومة القواعد الفقهية لخالد الصقعبي (ص٥٥).

(٢) انظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٧٢).

اختلاف في التعبير عن ذلك وهو أمرٌ مراعى كذلك ومعتبر في التفسير، وفي ترجيح معنى أو تضعيف آخر(١).

وقد جاء في هذه الدراسة مصطلح العرف الشرعي، ومصطلح عرف القرآن، والعرف في اللغة، وغيرها.

**

(١) انظر: قواعد الترجيح للحربي (١/ ١٧٢)، قواعد التفسير للسبت (٢/ ٧٩٨)، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه (ص ٩٨).

القسم الثاني

دراسة آيات التوجيه بالعرّف عند الخطيب

(١) يقـــول الله جـــل وعـــلا: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾ (سورة النساء – ٢).

قال الخطيب الشربيني: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ ﴾ أي: بعد البلوغ والرشد ﴿أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ وسموا اليتامى بعد البلوغ مع أنّ اليتيم في **(عرف)** الشرع صغير لا أب له على معنى أنهم كانوا يتامى، وإن كان اليُتْيم في اللغة الانفراد، ومنه الدرّة اليتيمة، وقيل: اليتيم في الأناس من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات وفي الطير من قبلهما، والخطاب للأولياء والأوصياء[١].

***الـــدراســـة:**

أمر الله تعالى في هذه الآية أوصياء اليتامى أن يعطوا اليتامى أموالهم، ونهاهم محرماً عليهم أن يستبدلوا أموال اليتامى الجيدة بأموالهم الرديئة[٢].

واليتيم في عرف الشرع كما ذكر الخطيب الشربيني: هو الصغير لا أب له، ويؤيده ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "لا يتم بعد احتلام"[٣] فنفى بذلك أن يكون بعد الحلم يتم، فلا يجري على الْبَالِغ حكم الْيَتِيم[٤].

وأما في اللغة فاليتيم هو: الذي مات أبوه قبل البلوغ، فهو يتيم حتى يبلغ،

---

(١) السراج المنير للخطيب الشربيني (٢٢٥/١).

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع يتم اليتيم (٣/ ٢٩٣) رقم (٢٨٧٣)، وصححه الألباني كما في صحيح أبي داوود (٢/ ٥٥٥)، وصحيح الجامع الصغير (٦/ ٢١٣).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦/ ٤٤٤).

والأنثى يتيمة، وإذا بلغا زال عنهما اسم اليُتم حقيقة[١]، وقد يطلق عليه مجازاً بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي ﷺ وهو كبير: (يتيم أبي طالب، لأنه رباه بعد موت أبيه)[٢].

وقد يطلق اليتيم على الرجل والمرأة بعد البلوغ[٣]ويدل له قول النبي ﷺ: (تستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فهو إذنها)[٤].

وهذا القول الذي ذكره الخطيب الشربيني هو أحد قولين للمفسرين في الآية: وهو أن المراد باليتامى هنا الكبار الذين أونس منهم الرشد، وأن المراد بالإيتاء دفع أموالهم إليهم على سبيل الحقيقة.

ويكون التعبير عنهم باليتامى مع أنهم كبار باعتبار أن اسم اليتيم يتناول لغة كل من فقد أباه، أو باعتبار قرب عهدهم بالصغر، أو باعتبار ما كان، أي: الذين كانوا يتامى[٥].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٢٤١) مادة: (يتم).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٧)، وتهذيب اللغة للأزهري (٤/ ٣٩٧٣) مادة: (يتم)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/٥)، والمقصود أنه كان يقال ذلك بعدما كبر صلى الله عليه وسلم، وهو حكاية قول المشركين وهذه العبارة لا يجوز إطلاقها وقد أفتى المالكية بقتل قائلها، منهم أبو الحسن القابسي وعدد من فقهاء الأندلس، لما في تلك العبارة من الاستخفاف والتحقير، ووافقه ابن حجر إذا اقترنت بما يدل على الازدراء، واعترض عليهم بقوله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} الضحى آية (٦).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٩٢).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب في الاستئمار (٢٣١/٢) رقم (٢٠٩٣)، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في إكراه اليتيمة على التزويج (٤١٧/٣) رقم (١١٠٩)، وقال حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٢٨/٦) رقم (١٨٢٥).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٤١)، والتفسير البسيط للواحدي (٦/ ٢٩٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٦٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٣٢/٣)، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤٦١/١)، ومدارك التنزيل للنسفي (٣٢٨/١)، ولباب التأويل للخازن (٣٣٨/١)، وحاشية الجمل على الجلالين (٢/ ٥).

والقول الثاني: أن المراد باليتامى هنا الصغار، والمراد بإيتائهم أموالهم حفظها لهم وعدم الطمع في شيء منها لا من قبل الورثة ولا من قبل الأوصياء ولا من قبل غيرهم، وعلى هذا المعنى يكون لفظ (الإيتاء) قد أول بلازم معناه وهو: الحفظ والرعاية لمال اليتامى، لا تسليم المال إليهم؛ لأنه من المعروف شرعاً ألا يسلم المال إليهم إلا بعد البلوغ، إذ هم في حال الصغر لا يصلحون للتصرف(١).

ويكون هذا التعبير من باب الكناية بإطلاق اللازم وهو الإيتاء، وإرادة الملزوم وهو الحفظ، أو من باب المجاز بالمآل إذ الحفظ يؤول إلى الإيتاء(٢).

ويبدو أن الرأي الثاني أولى، لأن الأمر بدفع أموال اليتامى إليهم بعد بلوغهم قد جاء صريحاً في قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾.

فكان حمل الآية التي معنا على أن المراد باليتامى: الصغار، وبإيتاء أموالهم حفظها لهم، أولى وأقرب إلى الصواب، لأنه على هذا الرأي يكون الأمر وما يذكر به تأسيسات أحكام، وعلى الرأي الأول يكون ما في الآية الثانية مؤكداً لما في الآية التي معنا، والتأسيس أولى من التأكيد.

ولأن قوله تعالى بعد ذلك في الآية التي معنا: ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ – إنما هو تحذير للأوصياء والأولياء من الطمع في مال اليتيم أو إضاعته ما دام المال في أيديهم واليتيم في حجرهم، وهذا يؤيد هذا الرأي الأول القائل بأن المراد باليتامى: الصغار، وبإيتاء أموالهم: حفظها ورعايتها

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٤٦٤)، وتفسير ابن عرفة (٤/٢)، وروح المعاني للألوسي (٣٩٧/٢)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٣٩/٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٠/٤)، ومحاسن التأويل للقاسمي (١١/٣).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٠/٤).

حتى تسلم إليهم عند بلوغهم كاملة غير منقوصة[١].

وفي التعبير عنهم باليتامى مع أنهم كبار، إشارة إلى وجوب المسارعة في تسليم أموالهم إليهم متى أونس منهم الرشد، حتى لكأن اسم اليتيم ما زال باقياً عليهم، غير منفصل عنهم[٢].

(٢) يقول الله جل وعلا: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة الأعراف - ٣٤).

قال الخطيب الشربيني: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: حان وقتهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ عنه ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ساعة عليه، وإنما ذكرت (الساعة) وإن كان دونها كذلك؛ لأنها أقل اسم للأوقات في **(العرف)**، وذلك حين سألوا نزول العذاب، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣].

***الدراسة:**

يخبر الله سبحانه أن لكل أمة من الأمم ولكل جيل من الأجيال مدة من العمر محدودة في علم الله، فإذا ما انتهت هذه المدة انقطعت حياتهم وفارقوا هذه الدنيا بدون أي تقديم أو تأخير، والغرض منه التّخويف، ليتشدد المرء في القيام بالتّكاليف كما يلزم[٤].

وقوله جل وعلا: (ساعَةً) لفظ عين به الجزء القليل من الزمن، أو أقل مدة من الزمن، والمراد جميع أجزائه أي لا يستأخرون ساعة ولا أقل منها ولا أكثر، وهذا

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٠/٤)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي (٢٦/٣).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٦٤/١)، ومدارك التنزيل للنسفي (٣٢٨/١)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٨٠/١)، وروح المعاني للألوسي (٣٩٧/٢).

(٣) السراج المنير للخطيب الشربيني (٣٧٥/١).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن لسعدي (٤٤٣/١)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي (٢٦٧ /٥).

نحو قوله تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠] فإنما هي عبارة يقام الجزء فيها مقام الكل.

فإذا جاء أجل كل أمة كان عقابهم فيه لا يتأخرون عنه أقل تأخر، كما أنهم لا يتقدمون عنه إذا لم يجئ، أو لا يملكون طلب تأخيره كما أنهم لا يملكون طلب تقديمه، إلا أن الساعة خصت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات، وقد جرى (العرف) بذلك أن (الساعة) لما قل من الزَّمان كالقطعة من النَّهار، وكذلك في عرف القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١١٧][1].

والساعة: في العرف المعاصر: الساعة الفلكية اصطلاح، وهي جزء من (٢٤) جزءًا من مجموع الليل والنهار.

(٣) يقول الله جل وعلا: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٣١).

قال الخطيب الشربيني: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ أي: اتخذ اليهود أحبارهم، أي: علماءهم (والحبر) في الأصل العالم من أي طائفة كان، واختص في **(العرف)** بعلماء اليهود من ولد هارون. وكان أبو الهيثم[2] يقول: واحد الأحبار

(١) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه لمحمد الدرة (٢٤٨/٤).

(٢) أبو الهيثم الرازي: كان عالماً بالعربية، عذب العبارة، دقيق النظر. قال أبو الفضل المنذري: لازمت أبا الهيثم زماناً، وكان بارعاً حافظاً، صحيح الأدب؛ عالماً ورعاً، كثير الصلاة، صاحب سنة، ولم يكن ضنيناً بعلمه وأدبه. توفي سنة (ست وعشرين ومائتين)؛ وكان ذلك في خلافة المعتصم بالله تعالى. انظر: نزهة الألباء للأنباري (٧٠/١)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢٠٣/٢).

(حبر) بالفتح، وينكر الكسر، واتخذ النصارى رهبانهم أي: عبادهم أصحاب الصوامع، والراهب في الأصل من تمكنت الرهبة من قلبه فظهر آثارها على وجهه ولباسه واختص في (**العرف**) بعلماء النصارى أصحاب الصوامع(١).

***الدراسة:**

يخبر الله تعالى في هذه الآية باتخاذ اليهود والنصارى العلماءَ والعُبَّادَ أربابًا يُشَرِّعون لهم الأحكام، فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله، واتخذوا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلهًا فعبدوه، وقد أمرهم الله بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق لا إله إلا هو سبحانه تنزَّه وتقدَّس عما يفتريه أهل الشرك والضلال(٢).

والأحبار في اللغة: جمع (الحبر) بالكسر، وهو العالم. (والحبر) بالفتح: لغة فيه، وهو من التحبير، وهو التحسين سمّي العالم حبراً، لأنه يحبر العلم، أي: يبينه ويزينه.

قال الجوهري: الحَبر والحِبر واحد: أحبار اليهود، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة، الآية ٣١](٣).

وهو مُخْتَصّ في (العرف) بعلماء الْيَهُود من ولد هَارُون، والحبورة: الْإِمَامَة(٤).

والراهب عابد النصارى، والجمع رهبان، وربما قيل رهابين، وترهب الراهب انقطع للعبادة، والرهبانية من ذلك، قال تعالى: ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا ﴾ [الحديد: ٢٧] مدحهم عليها ابتداء ثم ذمهم على ترك شرطها بقوله ﴿ فَمَا رَعَوۡهَا

---

(١) السراج المنير للخطيب الشربيني (٤٧٨/١).

(٢) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (ص٤٦١)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٤١/٣).

(٣) انظر: الصحاح للجوهري (٦١٩/٢) مادة: (حبر)، ومعجم مقاييس اللغة (ص ٢٩٢)، والقاموس المحيط (ص ٤٧٢).

(٤) انظر: الكليات لأبي البقاء (ص ٤٠٨).

حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧] لأن كفرهم بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم أحبطها(١).

ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب، وترهب الرجل إذا صار راهباً يخشى الله، والراهب: المتعبد في الصومعة، وأحد رهبان النصارى، ومصدره الرهبة والرهبانية، والجمع الرهبان(٢).

والمعنى: كانوا يتبعون عظماءهم في التحليل والتحريم؛ كقوله جل ذكره: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، وكانوا لا يتخذون أُولَئِكَ الأحبار أربابًا في الحقيقة، ولكن كانوا يتبعونهم فيما يحلون ويحرمون ويصدرون عن آرائهم؛ فسموا بذلك لشدة اتباعهم أُولَئِكَ في التحليل والتحريم(٣).

معناه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شيء، معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا وحرموا ما حرموا، فاتخذوهم كالأرباب.

عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: « يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك، فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ حتى فرغ منها، قلت له: إنا لسنا نعبدهم، فقال ﷺ: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ قلت: بلى،

(١) المصباح المنير للفيومي (٢٤١/١) مادة: (رهب).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (١/ ٤٣٧)، وتكملة المعاجم العربية (٨/ ٣١٦) لرينهارت بيتر.

(٣) انظر: تفسير تأويلات أهل السنة (٣٥٧/٤).

قال: فتلك عبادتهم» [١][٢].

وهذا بيان أن مخالف أمر الله في التحريم والتحليل كالمشرك في عبادة الله، لأن استحلال ما حرم الله كفر بالإجماع، وكل كافر مشرك، ومن اعتقد طاعة أحد لعينه أو لصفة فيه فأطاعه في خلاف ما أمر الله فهو من الذين ذكروا في هذه الآية أنهم كانوا يعتقدون وجوب طاعة أحبارهم[٣].

(٤) يقول الله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (سورة النحل – ٥٨).

قال الخطيب الشربيني: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ أي: أخبر بولادتها ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾ أي: صار أو دام النهار كله ﴿مُسْوَدًّا ﴾ من الكآبة والحياء من الناس، واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتخجيل، كما أنّ بياض الوجه وإشراقه كناية عن الفرح والسرور ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: مملوء غيظاً على المرأة ولا ذنب لها بوجه. (والبشارة) في أصل اللغة: الخبر الذي يغير البشرة من حزن أو سرور، ثم خص في **(عرف)** اللغة: بالسرور، ولا يكون إلا بالخبر الأوّل، فالمراد بالبشارة هنا: الإخبار كما مرّ.

وقول الرازي: إنّ إطلاقه على الخير والشر داخل في التحقيق خلاف المشهور[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، باب ومن سورة التوبة (٨/ ٢٤٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٠٦/٤)، وابن جرير في تفسيره (٤١٧/١١) واللفظ له، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٤)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب»، وقد حسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧)، والألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٦).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٣٩).

(٣) التفسير البسيط للواحدي (١٠/ ٣٨٧).

(٤) السراج المنير للخطيب الشربيني (١٨٧/٢).

*** الـــدراســـة:**

يخبر الله سبحانه عن بعض عقائد المشركين وأعمالهم القبيحة أنه إذا أُخبر أحد هؤلاء المشركين بميلاد أنثى اسودّ وجهه من شدة كراهية ما أُخْبِر به، وامتلأ قلبه همًّا وحزنًا، ثم هو ينسب إلى الله ما لا يرضاه لنفسه! ويختفي ويتغيب عن قومه من سوء ما أُخْبِر به من ميلاد أنثى، وتحدثه نفسه: أيمسك هذه البنت على ذل وانكسار أو يَئِدُها، فيخفيها في التراب؟ ما أقبح ما يحكم به المشركون، حيث حكموا لربهم بما يكرهون لأنفسهم(١).

والبشارة: مأخوذ من: " بَشَّرْتُهُ، وبَشَرْتُهُ، وأبشرت الرجل: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، وبين هذه الألفاظ فروق، فإن بشرته عام، وأبشرته نحو أحمدته، وبشرته على التكثير"(٢).

فالزمخشري ذهب إلى: أن البشارة تخص البشارة بالخبر الذي يظهر سرور المخبر به(٣).

وقال ابن عطية: "الأغلب استعماله في الخير، وقد يستعمل في الشر مقيداً به منصوصاً على الشر للمبشر به؛ كما قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ومتى أطلق لفظ البشارة فإنما يحمل على الخير"(٤).

وهو محجوج بالنقل فعن سيبويه: هو خَبَرٌ يؤثر في البشرة من حُزْنٍ أو سُرُورٍ. قالوا: وسمي بذلك لتأثيره في البشرة، فإن كان خيراً أثر المسرة والانبساط، وإن كان شراً أثر القبض والانكماش(٥).

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢٧٨)، وتيسر الكريم الرحمن للسعدي (١/٤٤٢).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص ١٢٥)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٢/٢٠٠).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (١/١٠٤).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ١٠٨).

(٥) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٧٧).

والصحيح أن كل خبر غير البشرة، خيراً كان أو شراً بشارة[١] قال الشاعر:

وبشرتني يا سعد أن أحبتي ... جفوني وأن الود موعده الحشر[٢]

والأكثرَ استعمالُها في الخير، وإن استعملت في الشر فبقيد، كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢١] وإن أُطْلِقَتْ كانت للخير، وظاهرُ كلامِ الزمخشري أنها تختصُّ بالخَيْرِ، لأنه تَأَوَّلَ مثلَ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ ﴾ على العكسِ في الكلامِ الذي يُقْصَدُ به الزيادةُ في غيظ المستهزأ به وتألُّمِهِ[٣].

فالبشارة عادة للأمر السار والمفرح، أما عندما تطلق في الشر والعذاب فتفيد التهكم، وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين[٤].

وأهل اللسان أيضاً على ذلك، يحملون اللفظ أصلاً على البشارة بالخير؛ وذلك لظهور أثر الخبر على البشرة: حُسناً وجمالاً، وابتهاجاً[٥].

وعبر الله تعالى عن ولادة البنت بالتبشير؛ لأنها بشرى بسلامة الأم ولأنها في ذاتها رزق من اللَّه تعالى، ولأنها قلب يكون له فضل حنان وشفقة لذا كان التعبير بـ (بُشِّرَ)، وقد كان يجب أن يُسرَّ لهذه المعاني الكريمة السامية، ولكنه بدل أن يستبشر، بهذه النعمة التي أنعم اللَّه تعالى بها، وهذا الرزق الذي ساقه اللَّه تعالى يكتئب ويحزن؛ ولذا قال تعالى في جواب الفعل الذي هو البشرى: ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ

---

(١) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة (٤/ ٢٧٩).

(٢) البيت في البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١١١)، والدر المصون للحلبي (١/ ٢١٠)

(٣) الدر المصون للحلبي (١/ ٢١٠).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (٣ /٢٥١)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٤٠٥)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣١٥/١)، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (٤٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٨٢)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٥٠).

(٥) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٤٥/١١)، والصحاح للجوهري (٢ /٥١٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٥١/١)، ولسان العرب لابن منظور (٦١/٤)، والمخصص لأبي الحسن ابن سيده (٤/ ٨٦).

مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾، أي صار ودام وجهه مسوداً، وذلك كناية عن الحزن والكمد والغيظ، فكان حال الوجه المكفهر تشبه بحال الوجه الأسود، للقتامة، فالبؤس يوجد سواداً في القلب.

أخرج الطبري بسنده عن قتادة بن دعامة في قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾، قال: هذا صنيعُ مُشْرِكي العرب، أخبرهم الله بخُبثِ صنيعِهم، فأما المؤمن فهو حقيقٌ أن يَرضى بما قسَم الله له، وقضاءُ الله خيرٌ مِن قضاءِ المرء لنفسه، ولَعَمْرِي ما يَدْرِي أنه خير، لَرُبَّ جارية خيرٌ لأهلِها مِن غلام، وإنما أخبركم الله بصنيعِهم لتجتنبوه، ولتَنْتَهوا عنه، فكان أحدهم يَغْذُو كلبه، ويَئِدُ ابنته"[1].

فدلت هذه الآية على أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار، والخبر المحزن، وإن كانت في عرف اللغة العربية تختص بالخبر السار[2]. [آل عمران: ١٦-٢٢].

(٥) يقول الله جل وعلا: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه: ٤٠).

قال الخطيب الشربيني: ولما كان التشديد في المحنة يوجب كثرة الثواب عده الله تعالى من جملة النعم وتقدّم تفسير ابن عباس ﷺ وهو قريب من ذلك، فإن قيل: هل يصح إطلاق (الفتان) على الله تعالى اشتقاقاً من قوله تعالى: ﴿

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٤/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٨٧).
(٢) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه لمحمد الدرة (٥/ ٢٠٨- ٢٠٩).

وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ؟.

أجيب: بأنه لا يصح لأنه صفة ذم في **(العرف)** وأسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما يوهم ما لا ينبغي[١].

*** الـــدراســـة:**

المعنى العام للآية: ومننَّا عليك حين تمشي أختك تتبعك ثم تقول لمن أخذوك: هل أدلكم على من يكفُله، ويرضعه لكم؟ فرددناك إلى أمِّك بعد ما صرتَ في أيدي فرعون؛ كي تطيب نفسها بسلامتك من الغرق والقتل، ولا تحزن على فَقْدك، وقتلت الرجل القبطي خطأ فنجيناك من غَمِّ فِعْلك وخوف القتل، وابتليناك ابتلاء، فخرجت خائفًا إلى أهل «مدين»، فمكثت سنين فيهم، ثم جئت من «مدين» في الموعد الذي قدَّرناه لإرسالك مجيئًا موافقًا لقدر الله وإرادته، والأمر كله لله تبارك وتعالى[٢].

وقول الخطيب الشربيني: (هل يصح إطلاق الفتان على الله تعالى اشتقاقاً من قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ؟).

أجيب: بأنه لا يصح لأنه صفة ذم في (العرف) وأسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما يوهم ما لا ينبغي".

وقد نقل علماء العقائد أن منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى أنها توقيفية، وأن الله تعالى لا يسمَّى إلا بما ثبت تسميته به نصًّا من كتاب أو سنة"[٣].

---

(١) السراج المنير للخطيب الشربيني (٣٦٤/٢).

(٢) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (ص٦٩٥)، التسهيل لابن جزي (١٧١/٢).

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ١٨٨)، والمجموع شرح المهذب للنووي (٦/ ٢٤٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٦) وبدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٨٣).

فمذهب جمهور أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز تسميته سبحانه بما لم يرد به السمع.

وذلك أن أسماء الله تعالى من الأمور الغيبية التي لا يمكن لنا معرفة شيء منها إلا عن طريق الرسل الذين يطلعهم الله على ما يشاء من الغيب، ثم هم يبلغونه للناس فلا يجوز القياس فيها أو الاجتهاد لأن هذا الباب ليس من أبواب الاجتهاد(١).

قال أبو إسحاق الزجاج: "لا ينبغي لأحد أن يدعو الله بما لم يصف به نفسه"(٢).

وقال أبو إسحاق القشيري(٣): "الأسماء تؤخذ توقيفياً من الكتاب، والسنة، والإجماع، فكل اسم ورد فيهما وجب اطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه"(٤).

ومما سبق يتبين صحة قول الخطيب ومن وافقه من العلماء بأنه لا يصح إطلاق (الفتان) على الله تعالى؛ لأنه صفة ذم في (العرف) اللغوي والشرعي، وأسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما يوهم ما لا ينبغي.

وأما المراد بلفظ (الفتون) في الآية، فإن الفتون مصدر(٥)، وربما جاء مصدر الثلاثي المتعدي على فعول. وقال بعضهم: هو جمع فتنة. وقال الزمخشري في

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص ١٥٩).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٩٢).

(٣) أبو إسحاق القشيري هو: هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري النيسابوري، خطيب نيسابور، روى الكثير وذاع صيته وارتحلوا إليه، وحدث عنه خلق كثير، وأملى مجالس كثيرة، توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة (سير أعلام النبلاء (٢٠/١٨٠)، ولسان الميزان لابن حجر (٦/١٨٧).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص ١٤).

(٥) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٣١٨).

الكشاف: ﴿ فُتُونًا ﴾ يجوز أن يكون مصدرًا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور. وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث، أي: فتناك ضروبًا من الفتن(١).

وقد جاء في تفسير (الفتون) المذكور حديث معروف عند أهل العلم بحديث "الفتون"، أخرجه النسائي عن ابن عباسﷺ(٢)، وهو حديث طويل يقتضي أن الفتون يشمل كل ما جرى على موسىعليه السلام من المحن من فرعون في صغره وكبره، كالخوف عليه من الذبح وهو صغير، ومن أجل ذلك أُلقي في التابوت وقُذِف في اليم فألقاه اليم بالساحل، وكخوفه وهو كبير من أن يقتله فرعون بالقبطي الذي قتله؛ وعلى هذا فالآيات التي ذكرت فيها تلك المحن مبينة للفتون المذكور في الآية (٣).

(٦) يقول الله جل وعلا: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة السجدة – ٢١).

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٤)، والتفسير الكبير للرازي (٢٢/ ٤٩)، ومدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٣٦٥)، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي (١٠/ ١٧٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٣٣/٧)، والدر المصون للحلبي (٨/ ٣٩).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٧٢) رقم (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ١٠) (٢٦١٨)، وابن جرير في تفسيره (١٦/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٦) رقم (٨٩١٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٥٦) رقم (١١١٦٦): (رجاله رجال الصحيح، غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب، وهما ثقتان). وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٩٦): (والأشبه -والله أعلم- أنه موقوف، وكونه مرفوعًا فيه نظر، وغالبه مُتَلَقًّى مِن الإسرائيليات، وفيه شيء يسير مُصَرَّح برفعه في أثناء الكلام، وفي بعض ما فيه نظر ونكارة، والأغلب أنه من كلام كعب الأحبار، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٥١٣). وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢٩٣).

قال الخطيب الشربيني: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ أي: عذاب الدنيا، قال الحسن: هو مصائب الدنيا، ﴿ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ وهو عذاب الآخرة فإن عذاب الدنيا لا نسبة له إلى عذاب الآخرة، فإن قيل: ما الحكمة في مقابلة الأدنى بالأكبر، والأدنى إنما هو في مقابلة الأقصى والأكبر إنما هو في مقابلة الأصغر.

أجيب: بأنه حصل في عذاب الدنيا أمران: أحدهما: أنه قريب، والآخر: أنه قليل صغير، وحصل في عذاب الآخرة أيضاً أمران: أحدهما: أنه بعيد، والآخر: أنه عظيم كبير، لكن **(العرف)** في عذاب الدنيا هو أنه الذي يصلح للتخويف، فإن العذاب الآجل وإن كان قليلاً فلا يحترز عنه بعض الناس أكثر مما يحترز من العذاب الشديد إذا كان آجلاً، وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل.

وأما في عذاب الآخرة فالذي يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد ؛ لما ذكر. فقال في عذاب الدنيا: ﴿ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ ليحترز العاقل، ولو قال تعالى: (ولنذيقنهم من العذاب الأصغر) ما كان ليحترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلاً.

وقال في عذاب الآخرة: ﴿ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ لذلك المعنى، ولو قال: (من العذاب الأبعد الأقصى) لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوصفه من الكبر[1].

---

(١) السراج المنير للخطيب الشربيني (١٨٥/٣).

*** الـــدراســـة:**

المعنى العام للآية: ولنذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين ﴿ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل ﴿ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ يوم القيامة، حيث يُعذَّبون في نار جهنم؛ لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم(١).

وسؤال الخطيب الشربيني عن الحكمة في مقابلة (الأدنى) بـ(الأكبر)، والأدنى إنما هو في مقابلة الأقصى والأكبر إنما هو في مقابلة الأصغر؟.

أقول ذكر هذا التساؤل الرازي(٢) وتبعه بعض المفسرين(٣)، فقال الرازي: "وبالجملة فقد اختار الله تعالى في العذابين الوصف الذي هو أصلح للتخويف من الوصفين الآخرين فيهما لحكمة بالغة"(٤).

وهذا التعليل الذي ذكره الخطيب- والذي يؤيده (العرف) وهو أن التخويف يكون بالعذاب المشاهد دون الغائب- له شواهد في التنزيل الحكيم كما في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

أي: ظهر الفساد في البر والبحر، كالجدب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة; وذلك بسبب المعاصي التي يقترفها البشر; ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا; كي يتوبوا إلى الله سبحانه ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح أحوالهم، وتستقيم أمورهم(٥).

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٣٦/٣)، وتيسر الكريم الرحمن للسعدي (٦٥٦/١).

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٥/ ١٤٨).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٥/ ٤٨٨)، وتفسير ابن عرفة (٣/ ٢٨١).

(٤) التفسير الكبير للرازي (٢٥/ ١٤٩).

(٥) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٤/٣)، وتفسير الجلالين (٥٣٦/١).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٨].

أي: وأخذناهم بسبب إصرارهم على الكفر والمعاصي، بالعذاب الدنيوي الشديد لكي يرجعوا عما هم عليه من كفر وفسوق، ولكنهم لم يرجعوا(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

أي: عاملناهم معاملة المبتلى الممتحن تارة بالنعم الكثيرة كالصحة والخصب وسعة الأرزاق، وتارة بالنقم المتنوعة كالجدب والأمراض والشدائد، لعلهم يرجعون إلى طاعة ربهم، ويتركون ما نهوا عنه من المعاصي والسيئات(٢).

وكل ما سبق يدل على أن الله سبحانه يخوف عباده بالعذاب القليل والصغير في الدنيا حتى يرجعوا إليه قبل مماتهم.

(٧) يقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب – ٥٦).

قال الخطيب الشربيني: إن قيل: إذا صلى الله وملائكته عليه فأي حاجة به إلى صلاتنا؟

أجيب: بأن الصلاة عليه ليست لحاجة إليها وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله تعالى عليه؛ وإنما هو إظهاره وتعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه، ولهذا قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: « من صلى علي واحدة صلى الله

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٣/٢٤٧).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٦٩).

عليه عشراً » [١]، وفي رواية أخرى: «وملائكته سبعين» [٢]، وتجوز الصلاة على غيره تبعاً له وتكره استقلالاً؛ لأنه في **(العرف)** صار شعاراً لذكر الرسل ولذلك كره أن يقال لمحمدﷺ عز وجل، وإن كان عزيزاً جليلاً [٣].

*** الـــدراســـة:**

المعنى العام للآية: إن الله تعالى يثني على النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند الملائكة المقربين، وملائكته يثنون على النبيﷺ ويدعون له، فيا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، صلُّوا على رسول الله، وسلِّموا عليه تسليمًا، تحية وتعظيمًا له.

فالأمر بالصلاة على النبي ﷺ بعد الإخبار بصلاة الله تعالى وملائكته عليه فيه خير عظيم لمن يمتثل هذا الأمر الإلهي من مغفرة للذنوب ورفعة في الدرجات وكفاية للهموم وغيرها مما لا يكاد يحصى [٤].

فقد أخرج الترمذي عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٣٠٦/١) رقم (٤٠٨)، وأبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (٥٦٢/١) رقم (١٥٣٠)، والترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٤٨٥)، والنسائي في كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ (٥٠/٣) رقم (١٢٩٦)، وأحمد في مسنده (٣٧٢/٢) رقم (٨٨٥٤)، والدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٣١٧/٢)، والبخاري في كتاب الأدب المفرد (٦٤٥).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٧٨) رقم (٦٦٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٠): إسناده حسن.

(٣) السراج المنير للخطيب الشربيني (٢٢٨/٣).

(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٥/ ١٨٢)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٥/ ٥٨٧)، ومحاسن التأويل للقاسمي (١٠٩/٨).

الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه. قال أبي: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟

فقال ﷺ: ما شئت، قال قلت: الربع، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قال قلت: فالثلثين، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك» (١).

وقول الخطيب:" وتجوز الصلاة على غيره تبعاً له وتكره استقلالاً، لأنه في (العرف) صار شعاراً لذكر الرسل، ولذلك كره أن يقال لمحمدﷺ عز وجل، وإن كان عزيزاً جليلاً.

أقول: هذا ما عليه الأكثرون، فقال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: "قال أبو بكر صلى الله عليه". أو: "قال علي صلى الله عليه". وإن كان المعنى صحيحاً، كما لا يقال: "قال محمد، عز وجل"، وإن كان عزيزاً جليلاً؛ لأن هذا من شعار ذكر الله، عز وجل. وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم؛ ولهذا لم يثبت شعاراً لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته. وهذا مسلك حسن.

وقال آخرون: لا يجوز ذلك؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٦/٥) رقم (٢١٢٤١)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب:(٢٣)، (٦٣٦/٤) رقم (٢٤٥٧)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٥٥٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في: تحقيق كتاب (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) لإسماعيل بن إسحاق الجهضي (ص٢٩)، وحسنه الألباني أيضاً في: صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧/٢).

شعار أهل الأهواء، يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدى بهم في ذلك(١).

وقال القاضي عياض: "الذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك، وسفيان، واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين: أنه يجب تخصيص النبي صلّى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالصلاة والتسليم، كما يختص الله سبحانه عند ذكره بالتقديس والتنزيه، ويذكر من سواهم بالغفران والرضا، كما قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [المائدة: ١١٩] وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠] وأيضاً: أن ذلك في غير من ذكر لم يكن في الصدر الأول، وإنما أحدثه الرافضة في بعض الأئمة والتشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم"(٢).

(٨) **يقول الله جل وعلا:** ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (سورة الزمر – ٥٣).

قال الخطيب الشربيني: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ربكم المحسن إليكم يقول ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي، وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو **(عرف)** القرآن ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ ﴾ أي: لا تيأسوا ﴿ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ (٣).

---

(١) انظر: الوسيط في المذهب لأبي حامد الغزالي (٢/ ٤٤٦)، وروضة الطالبين للنووي (٢/ ٢١١)، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢٧/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٧٨)، وروح المعاني للألوسي (٨/٦).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل عياض (٢/ ٨٢).

(٣) السراج المنير للخطيب الشربيني (٣٦٥/٣).

*** الـــدراســـة:**

المعنـى العـام للآيـة: قـل أيهـا الرسـول لعبـادي الـذين تمـادَوا فـي المعاصـي، وأسـرفوا علـى أنفسـهم بإتيـان مـا تـدعوهم إليـه نفوسـهم مـن الـذنوب: لا تَيْئسـوا مـن رحمـة الله؛ لكثرة ذنوبكم، إن الله يغفر الـذنوب جميعاً لمن تـاب منهـا ورجـع عنهـا مهما كانت، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم(١).

وتعليل الخطيب الشربيني إضافة العباد في قوله تعالى:﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ بأن هذه الإضافة تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن قد قال بـه بعض المفسرين كالرازي، والبيضاوي، وأبي السعود وغيرهم(٢).

وهذا التعليل فيه نظر واضح فقد جاء في سبب نزول الآيـة مـا يبين أن نزولها كـان فـي قوم مـن المشركين وهـو مـا أخرجـه الشيخان عن ابـن عبـاس ﷺ: « أن أناسا من أهل الشرك، كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذين تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنـزل: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ﴾ [الفرقـان: ٦٨]، ونـزل: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ (٣)».

---

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٨٢/٣)، وتيسر الكريم الرحمن للسعدي (٧٢٧/١).

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٧/ ٤٦٣)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٤٦/٥)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٥/ ٨٤)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة الزمر، قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٦/ ٣٣) رقم (٤٥٣٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١/ ١١٣) رقم (١٢٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٥٠٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٧٢٨) رقم (١٥٣٩٨).

وروي عن ابن عمر ﷺ: (قال: إنما أنزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين ﷺ، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذّبوا، فافتنوا، كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عُذّبوه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب ﷺ كاتباً، قال: فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، إلى أولئك النفر، فأسلموا وهاجروا) (١).

فالصحيح أن تخصيص اسم (العباد) بالمؤمنين إذا أضيف إلى الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان: ٦٣] وقوله سبحانه: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٦]، لا يعمم على جميع الآيات التي ورد فيه لفظ (العباد) لأن هذا يعارضه قول الله تعالى:﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [يس: ٣٠] فالذين يستهزئون برسل الله ليسوا بمؤمنين والذين يتحسر عليهم لم يذكروا في معرض التعظيم، وإنما ذكروا في معرض الذم والإهانة كما هو صريح الآية، ولو صح ذلك لم يحتج إلى نعت العباد ووصفهم بصفات تقتضي المدح أو القدح، فلفظ العباد يشمل المؤمن والكافر، ولذا خصصه بالصفة. قال سبحانه: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الفرقان: ١٧]، وإضافة عِبادِي لتعظيم جرمهم لعبادة غير خالقهم أو لتعظيم أمر

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١٥)، وذكره الواحدي في أسباب النزول (٣٠٧)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٥١). وابن الجوزي في تفسيره (٧/ ١٩٠) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٦٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٤١٦).

إضلالهم بدعوتهم إلى عبادتهم مع كونهم عبادا لله عز وجل[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الهرري في الرد على البيضاوي في دعواه أن إضافة العبادة تخصّصه بالمؤمن على ما هو عرف القرآن فقال: " يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [الإسراء: ٥] ينادى على خلافه؛ لأن العباد فسر هناك ببختنصر وقومه، وكانوا كفاراً بالاتفاق، إلا أن يدعى الفرق بين الإضافة بالواسطة وبغيرها "[2].

وقال الواحدي: "المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام، كالشرك، وقتل النفس والزنا ومعاداة النبي –صلى الله عليه وسلم– والقتال معه فأنزل الله هذه الآية، ورآها أصحابه من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب"[3].

وكل ما سبق من الروايات لا يقتضي اختصاص الحكم بهم وذلك أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية عامة.

وقد صوب الطبري في تفسيره[4]، "قول من قال: عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عم بقوله: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفا دون مسرف".

وذهب ابن جزي إلى القول بالعموم[5]. وقال أبو حيان: " وهذه الآية عامة في

(١) انظر: وروح المعاني للألوسي (٩/ ٤٣٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/ ٣٣٨).
(٢) تفسير حدائق الروح والريحان لمحمد الأمين (٢٥/ ٥٥).
(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (٥٨٦/٣).
(٤) جامع البيان للطبري (٢٤/ ١٦).
(٥) التسهيل لابن جزي (٣/ ١٩٧).

كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب تمحو الذنب توبته "[١].

(٩) يقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة فصلت – ٤٠).

قال الخطيب الشربيني: ثم إنه تعالى هدد من يجادل في آياته بإلقاء الشبهات فيها بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: القرآن على ما لها من العظمة بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والإلغاز فيها، وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء من لحد، والباقون بضم الياء وكسر الحاء[٢] من ألحد يقال: لحد الحافر وألحد إذا مال عن الاستقامة بحفره في شق، فالملحد هو المنحرف، ثم اختص في **العرف** بالمنحرف عن الحق إلى الباطل، قال مجاهد: يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط، وقال السدي: يعاندون ويشاقون [٣].

*** الـــدراســـة:**

المعنى العام للآية: إن الذين يميلون عن الحق، فيكفرون بالقرآن ويحرفونه، لا يَخْفَون علينا، بل نحن مُطَّلعون عليهم. أفهذا الملحد في آيات الله الذي يُلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله، مستحقًّا لثوابه; لإيمانه به وتصديقه بآياته؟ اعملوا أيها الملحدون ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك، وفي هذا وعيد وتهديد

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٤١٦/٧)، وانظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٤٢/٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٦٤/١).

(٢) انظر: إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه (٢١٥/١)، والتيسير في القراءات السبع (ص٣٦٥).

(٣) السراج المنير للخطيب الشربيني (٤١٤/٣).

لهم[1].

الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد، قال ابن السكيت[2]: "الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه، يقال: ألحد في الدين إذا عدل عنه ومال إلى غيره "[3].

ولحد: مال عن طريق القصد، ويقال: لحد السهم عن الهدف: عدل عنه، واللحد: حفره، والميت يدفن في اللحد.

يقال: ألحد فلان: عدل عن الحق وأدخل فيه ما ليس منه، ويقال: ألحد إليه: مال، وألحد في الحرم: استحلَّ حرمته وانتهكها، وألحد في الدين: طعن، وفي التنزيل العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾ [فصلت: ٤٠] وألحد الرجل: جادل وماری، واللحد حفره والميت دفنه في اللحد وبفلان أزرى به وقال عليه باطلاً [4].

ومن الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يسم به نفسه، ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع، بل يدعى الله بأسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم،

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢١٨/٣)، وتيسر الكريم الرحمن للسعدي (٧٥٠/١).

(٢) هو: يعقوب بن إسحاق أبو يوسف ابن السكيت إمام في اللغة والأدب، أصله من خوزستان بين البصرة وفارس. وله عدة كتب منها: "الألفاظ"، و"غريب القرآن"، توفي سنة (٢٤٤هـ) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان (٦/ ٣٩٥) ،وسير أعلام النبلاء (١٦/١٢).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ٣٢٤٢)، وكتاب العين للفراهيدي (٣/ ١٨٢)، وجمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٥٠٥)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٣٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٢٣٦/٥)، ومجمل اللغة لابن فارس (٣/ ٨٠٣)، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص ٧٣٧)، ولسان العرب لابن منظور (٧/ ٤٠٠٥) مادة: (لحد).

(٤) انظر: المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية (٢/ ٨١٧) باب اللام.

ويراعي الداعي حسن الآداب، فلا يجوز أن يقال: يا ضار[١].

ولا ينبغي أن يدعوه أحد بما لم يصف نفسه به، أو لم يسم به نفسه، فيقول في الدعاء: يا الله يا رحمن يا حي يا قيوم، ولا ينبغي أن يقول: يا سبحان ؛ لأنه لم يصف نفسه بهذه اللفظة، وتقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، وتقول: يا قوي، ولا تقول: يا جلد[٢].

والمواضع التي ذكر فيها لفظ الإلحاد في التنزيل الحكيم تدور معانيها حول الآتي:

الموضـــع الأول: قولـه تعـالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويلحدون من الإلحاد وهو الميل والانحراف، يقال: ألحد إلحادا إذا مال عن القصد والاستقامة، وألحد في دين الله: حاد عنه ومنه لحد القبر لأنه يمال بحفره إلى جانبه.

والمعنى: ولله تعالى أشرف الأسماء وأجلها فسموه بها أيها المؤمنون، واتركوا جميع الذين يلحدون في أسمائه سبحانه بالميل بألفاظها أو معانيها عن الحق من تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تعطيل أو ما ينافي وصفها بالحسنى، اتركوا هؤلاء جميعاً فإنهم سيلقون جزاء عملهم من الله رب العالمين.

ومن مظاهر إلحاد الملحدين في أسمائه تعالى تسمية أصنامهم بأسماء مشتقة منها، كاللات: من الله تعالى، والعزى: من العزيز، ومناة: من المنان، وتسميته تعالى بما يوهم معنى فاسدا، كقولهم له سبحانه: يا أبيض الوجه كذلك من مظاهر الإلحاد في أسمائه تعالى، تسميته بما لم يسم به نفسه في كتابه، أو فيما صح من حديث رسوله ﷺ، إلى غير ذلك مما يفعله الجاهلون والضالون[٣].

---

(١) انظر: تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد للعجيلي (٢/ ٤٧٠).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣٩٢/٢).

(٣) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٧٧/٣)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي (٤٤٢/٥).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

أرادوا به غلاماً كان لحويطب قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب، أو هو جبر غلام رومي لعامر بن الحضرمي، أو سلمان الفارسي أو عبدان جبر ويسار كانا يقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ﴾ أي: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بيّن، وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة رداً لقولهم وإبطالاً لطعنهم(١).

فمعنى الإلحاد في اللغة: الميل، يقال: لَحَدَ وأَلْحَدَ؛ إذا مال عن القصد، ومنه يقال للعادل عن الحق: ملحد.

والإلحاد قد يكون بمعنى: الإمالة، ومنه يقال: أَلْحَدْتُ له لَحْدًا إذا حفرته في جانب القبر مائلٍ عن الاستواء، وقَبْرٌ مُلْحَدٌ ومَلْحُودٌ.

وفُسِّر الإلحاد في هذه الآية بالقولين، فقال الفراء: يُمِيلُون من الميل(٢).

وقال الزجاج: لسانُ الذي يميلُون القَوْلَ إليه؛ أعجميٌّ(٣).

وقال ابن قتيبة: أي يُومِئون إليه ويزعمون أنه يُعلِّمك(٤).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: مدارك التنزيل للنسفي (٢/٢٣٤)، وانظر: جامع البيان للطبري (١٤/١٧٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/١٠٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٤٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١١٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/٢١٩).

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (٢/٢٥٠).

وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الحج: ٢٥].

أي: من يرد في هذا المسجد الحرام إلحاداً، أي: ميلاً وحيدة عن أحكام الشريعة وآدابها بسبب ظلمه وخروجه عن طاعتنا ﴿ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه.

وقد جاء هذا التهديد في أقصى درجاته لأن القرآن الكريم توعد بالعذاب الأليم كل من ينوي ويريد الميل فيه عن دين الله، وإذا كان الأمر كذلك، فمن ينوي ويفعل يكون عقابه أشد ومصيره أقبح، ويدخل تحت هذا التهديد كل ميل عن الحق إلى الباطل أو عن الخير إلى الشر كالاحتقار والغش(١).

ومما سبق يتبين صحة ما ذهب إليه الخطيب وغيره من المفسرين من أن الملحد هو المنحرف، ثم اختص في (العرف) بالمنحرف عن الحق إلى الباطل. كالميل عن الحق والاستقامة، مثل تأويل الآيات تأويلاً باطلاً والطعن فيها وتحريفها عن مواضعها، كل ذلك من معاني الإلحاد في عرف القرآن.

(١٠) **يقول الله جل وعلا:** ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ (سورة الزخرف – ٨٩).

قال الخطيب الشربيني: ﴿ فَٱصۡفَحۡ ﴾ أي: اعف عفو من أعرض ﴿ عَنۡهُمۡ ﴾ صفحاً فلا تلتفت إليهم بغير التبليغ ﴿ وَقُلۡ ﴾ أي: لهم ﴿ سَلَٰمٞۚ ﴾ أي: شأني الآن متاركتكم بسلامتكم مني وسلامتي منكم. قال ابن عباس ﷺ: وهذا منسوخ بآية السيف.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي (٣٠٠/٩)، وانظر: جامع البيان للطبري (١٤١/١٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٩٤/٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١١٦/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥/١٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣٦٣/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢١٥/٣).

وقال الرازي: وعندي التزام النسخ في مثل هذه المواضع مشكل؛ لأن الأمر لا يقيد بالفعل إلا مرة واحدة، فسقطت دلالة اللفظ، فأي حاجة إلى التزام النسخ[1]، وأيضاً: فاللفظ المطلق قد يتقيد بحسب **(العرف)** فإذا كان كذلك فلا حاجة إلى التزام النسخ.

وجرى على النسخ الجلال المحلي، فقال: وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم[2].

*** الـــدراســـة:**

المعنى العام للآية: أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالإعراض عن الكافرين وأذاهم، وتركهم بسبب كفرهم وعنادهم، فلا يَبْدُر منك أيها الرسول إلا السلام لهم الذي يقوله أولو الألباب والبصائر للجاهلين، فهم لا يسافهونهم ولا يعاملونهم بمثل أعمالهم السيئة، فسوف يعلمون ما يلقَوْنه من البلاء والنكال، وفي هذا تهديد ووعيد شديد لهؤلاء الكافرين المعاندين وأمثالهم[3].

وقد اختلف المفسرون في دعوى النسخ في هذه الآية:

١ـ فذهب كثير من أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ ﴾ وما في معناه: منسوخ بآيات السيف، وهو مروي عن ابن عباسﷺ وقتادة ومقاتل[4].

---

(١) هذه الجملة فيها تصحيف والصواب من التفسير الكبير للرازي (٢٠١/٢٧): (لأن الأمر لا يفيد الفعل إلا مرة واحدة).

(٢) السراج المنير للخطيب الشربيني (٤٥٧/٣).

(٣) انظر: تيسر الكريم الرحمن للسعدي (٤٤٢/١)، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤/ ٦٦٠).

(٤) الناسخ والمنسوخ للكرمي (ص ١٨٥)، والناسخ والمنسوخ للمقري (ص ١٥٨)، والمصفى من علم الناسخ والمنسوخ لأبى الفرج بن الجوزي (ص ٥٢).

هذا وقد قال بالنسخ عامة المفسرين: كالطبري(١)، والقرطبي(٢)، والآلوسي(٣).

قال أبو جعفر النحاس: " قال تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩] قال جماعة العلماء إنها منسوخة بالأمر بالقتال فمن ذلك: ما حدثناه..عن ابن عباس ﷺ ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ ﴾ أي: أعرض عنهم ﴿ وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾ أي: معروفاً، أي: قل لمشركي أهل مكة ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾، ثم نسخ هذا في سورة براءة بقوله جل وعلا: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبة: ٥] الآية "(٤).

٢ـ وقال جماعات من المحققين: هو ليس بمنسوخ، والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال، والصفح عن الجهلة والإعراض عنهم؛ وصف كريم، وأدب سماوي، لا يتعارض مع ذلك، والعلم عند الله تعالى(٥).

وقول الرازي فيما نقله عنه الخطيب: "وعندي أن التزام النسخ في أمثال هذه المواضع مشكل، لأن الأمر لا يفيد الفعل إلا مرة واحدة فإذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ، فأي حاجة فيه إلى التزام النسخ، وأيضاً فمثله (يمين الفور) مشهورة عند الفقهاء وهي دالة على أن اللفظ قد يتقيد بحسب قرينة (العرف)، وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة فيه إلى التزام النسخ والله أعلم بالصواب"(٦).

فهو يقصد أنه لا يمكن التزام النسخ والقول به، فالأمر بالصفح هنا لا يفيد

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٥/ ١٠٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ١٢٤).

(٣) روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٢١).

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٦٦١).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٧/ ١٧١).

(٦) التفسير الكبير للرازي (٢٠١/٢٧).

التكرار حتى نقول بالنسخ، وإنما الأمر لا يفيد الفعل إلا مرة واحدة، فإذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ، ومثل لذلك بـ(يمين الفور)[1] المشهورة عند الفقهاء، وهي دالة على أن اللفظ قد يتقيد بحسب قرينة (العرف)، فكذلك (الأمر بالصفح) في الآية ليس متكرراً، بل يقيد حسب قرينة (العرف) فلا حاجة لدعوى النسخ، وهذا القول الراجح لظهور استدلاله، والله تعالى أعلم.

(١١) يقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (سورة القلم - ٣٤).

قال الخطيب الشربيني: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: العريقين في صفة التقوى ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: المحسن إليهم في موضع ندم أولئك وخيبة آمالهم، ﴿ جَنَّاتِ ﴾ جمع جنة وهي لغة: البستان الجامع، وفي **(عرف)** الشرع: مكان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى عنه جميع الشرور [2].

*** الدراسة:**

المعنى العام للآية: هذا بيان لما وعد به سبحانه المؤمنين الصادقين، بعد بيان وعيده للجاحدين المكذبين، أي: إن للذين اتقوا ربهم، وصانوا أنفسهم عما حرمه؛ جنات ليس لهم فيها إلا النعيم الخالص، والسرور التام، والخير الذي لا ينقطع ولا

---

(١) يمين الفور وهي كل يمين خرجت جوابا لكلام أو بناء على أمر فتتقيد بذلك بدلالة الحال، كمن قال لآخر (تعال تغد معي) فقال: (والله لا أتغدى) ولم يتغد معه وذهب إلى بيته وتغدى؛ لا يحنث في يمينه استحسانا، خلافا لزفر، وكذلك: إذا أرادت امرأة إنسان أن تخرج من الدار، فقال لها: إن خرجت فأنت طالق، فتركت الخروج ساعة ثم خرجت؛ لا يحنث ويتقيد بتلك الحال. انظر: تحفة الفقهاء للسمرقندي (٢/٢٩٤)، وبدائع الصنائع للكاساني (٣/١٣)، والمحيط البرهاني في الفقه النعماني (٤/٢١٨).

(٢) السراج المنير للخطيب الشربيني (٤/٢٦٢).

يمتنع [١].

تعريف الجنة لغة: البستان، ومنه الجنان، والعرب تسمي النخيل: جنّة، والجنَّة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها: جنان[٢].

والجنة في الاصطلاح: هو الاسم العام المتناول لتلك الدار التي أعدها الله لمن أطاعه، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، واللذة، والبهجة والسرور، وقرة العين[٣].

وقول الخطيب نقلاً عن البقاعي: "وفي عرف الشرع: مكان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى عنه جميع الشرور" [٤].

أقول هذا باعتبار الإضافة الواردة في الآية: ﴿ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، وأما لفظ (الجنة) في القرآن فإن كان في الحديث عن الآخرة فهي كما قال الخطيب، وأما في غيرها فقد جاءت كثيراً بالمعنى اللغوي وهو البستان، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وقوله جل ذكره: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ

(١) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٣٧٣/٥)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٨٠/١).
(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٣/ ٩٩)، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص٢٠٤)، والمصباح المنير للفيومي (١١٢/١)، والصحاح للجوهري (٣٠٩٤/٥)، وتاج العروس للزبيدي (٩/ ١٦٦)، مادة (جنن).
(٣) الجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة لعبد الرحمن القحطاني (ص ٩٤).
(٤) نظم الدرر للبقاعي (٣١٧/٢٠).

ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

وقوله تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩١].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨].

وقوله تعالى ذكره: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [القلم: ١٧].

ففي كل ما سبق المقصود بالجنة البستان، ويبقى الخلاف في المراد بالجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام:

وقول الجمهور في جنة آدم عليه السلام: إنها دار الثواب في الآخرة[1]، ويؤيده ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبى هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم » [2].

قال الحافظ ابن كثير والإمام بدر الدين الشبلي تعليقاً على الحديث السابق:

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٥/١)، وحادي الأرواح لابن القيم (ص ٢٧)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٢٦/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٧) رقم (١٩٥).

"وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى "[١].

فالقول بأن الجنة في (عرف الشرع) مكان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى عنه جميع الشرور، قول يحتاج للتفصيل الذي سبق بيانه.

(١٢) يقول الله جل وعلا: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (سورة البينة: ٥).

قال الخطيب الشربيني: ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ أي: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصل الحنف في اللغة: الميل وخصه **(العرف)** بالميل إلى الخير، وسموا الميل إلى الشرّ (إلحاداً) والحنيف المطلق: الذي يكون متبرئاً عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، وعن فروعها من جميع النحل إلى الاعتقادات، وعن توابعها من الخطأ والنسيان إلى العمل الصالح، وهو مقام التقى، وعن المكروهات إلى المستحبات وهو المقام الأوّل من الورع، وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعني إلى ما يعنى وهو المقام الثاني من الورع، وعما يجر إلى الفضول وهو مقام الزهد، فالآية جامعة لمقامي الإخلاص، الناظر: أحدهما: إلى الحق، والثاني: إلى الخلق [٢].

*** الدراسة:**

بينت الآية الكريمة أن هؤلاء الكافرين من أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا في شأن الحق، والحال أنهم لم يؤمروا إلا بعبادة الله تعالى وحده، مخلصين له الطاعة، ومائلين عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، مؤمنين بجميع الرسل بدون تفرقة بينهم، إذ ملتهم جميعاً واحدة، ولم يؤمروا- أيضاً- إلا بإقامة الصلاة في أوقاتها بخشوع وإخلاص لله رب العالمين، وبإيتاء الزكاة التي تطهرهم وتزكيهم.

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٧٥)، وآكام المرجان في غرائب الأخبار لمحمد الشبلي (ص ٢١).

(٢) السراج المنير للخطيب الشربيني (٤/٤١٨).

وذلك الذي أمرهم الله به من إخلاص العبادة له، ومن أداء فرائضه ﴿ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ أي: دين الملة المستقيمة القيمة، أو دين الكتب القيمة.

وقد أوضح الخطيب في تفسيره لهذه الآية نقلاً عن البقاعي :أن لفظ: ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ معناه: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصل الحنف في اللغة: الميل وخصه (العرف) بالميل إلى الخير(١).

فالحنف في أصل اللغة يطلق ويراد به أحد وجهين :

الوجه الأول: الميل، والمعنى أن إبراهيم عليه السلام حنف إلى دين الله، وهو الإسلام فسمي حنيفاً، وقيل للرجل أحنف لميل كل واحدة من قدميه إلى أختها.

والوجه الثاني: أن أصله الاستقامة، فسمي دين إبراهيم عليه السلام (الحنيفية) لاستقامته، ويسمى المعوج الرجلين أحنف تفاؤلاً بالاستقامة، كما قيل للديغ: سليم، وللمهلكة من الأرض مفازة(٢).

وقد ذكر المفسرون أقوالا كثيرة في معنى الحنيف منها:

١ـ قال قتادة: الحنيفية هي الختان، وتحريم الأمّهات والبنات والأخوات والعمّات والخالات، وإقامة المناسك(٣).

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٢٢/ ١٩٤).

(٢) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (٢/ ١٧٨)، والمحيط في اللغة لابن عباد (٣/ ١٢٣)، والصحاح للجوهري (٣/ ١١١٢)، والعباب الزاخر للصاغاني، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ٧٢٦)، مادة (حنف).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٠/ ٢٦٣)، ورواه بنحوه عبد الرزاق في تفسيره (٦٠/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٩٨/١)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (١/ ١٥٦)، وابن كثير في تفسيره (١٠٢/٢).

٢ـ وقال سعيد بن جبير: لا تسمي العرب حنيفا إلّا من حجّ واختتن[١].

وبه سمي الإسلام الحنيفية؛ لأنها مالت عن اليهودية، والنصرانية.

٣ـ وعن أبي زيد أنه قال: الحنيف: المستقيم. وهذا القول اختيار ابن قتيبة، والرياشي قالا: الحنيفية: الاستقامة على دين إبراهيم[٢].

٤ـ وقال أبو حاتم: قلت للأصمعي: من أين عرف في الجاهلية الحنيف؟ قال: لأن من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم، وكان من حج البيت سمي حنيفاً، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا الحج قالوا: هلموا نتحنف[٣]، فالحنيف: المسلم؛ لأنه مال عن دين اليهود والنصارى إلى دين الإسلام، ومنه قيل للميل في القدم: حنف.

٥ـ وروي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[٤].

٦ـ وقال مجاهد: الحنيفية: اتباع الحق[٥]، وروي عنه أيضًا: الحنيفية اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعده من الحج[٦].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٠٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ١٤٤).

(٢) انظر: الغريبين لأبي عبيد أحمد الهروي (٢/ ٥٠٣)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص ٦٤)، وتهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٧١).

(٣) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٥٥٦).

(٤) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (١/ ٢٨٢)، والوسيط للواحدي (١/ ٢١٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ١٥٥)، ولباب التأويل للخازن (١/١١٥)، والبحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٧٨).

(٥) بنحوه أخرجه الطبري في تفسيره (١/٥٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٤١) قال: وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك.

(٦) انظر: البسيط للواحدي (٣/ ٣٥٥) والوسيط للواحدي (١/ ٢١٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ١٥٥).

٧ـ وقيل: الحنيفية: إخلاص الدين لله وحده[١].

وقد رجح الطبري أن الحنف والحنيف: الاستقامة على دين إبراهيم عليه السلام، واتباعه على ملته، وبين أنه لو كان المراد الحج، أو الاختتان؛ لوجب أن يكون المشركون حنفاء، وقد نفى الله عنهم ذلك[٢].

ومما سبق من عرض أقوال أئمة اللغة والتفسير يتبين أن ما ذكره الخطيب هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو ما عليه أكثر المفسرين.

وأما ما ذكره الخطيب من: أن الحنيف المطلق الذي يكون متبرئاً عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، وعن فروعها من جميع النحل إلى الاعتقادات، وعن توابعها من الخطأ والنسيان إلى العمل الصالح؛ فهو موافق لما قرره الطبري في قوله:(فقد صحّ إذًا أن (الحنيفية) ليست الختانَ وحدَه، ولا حجَّ البيت وحده، ولكنه هو ما وصفنا: من الاستقامة على ملة إبراهيم، واتباعه عليها، والائتمام به فيها... فسمِّي الحنيفُ من الناس(حنيفاً) باتباعه ملته، واستقامته على هديه ومنهاجه، وسُمِّي الضال من ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغير ذلك من صنوف الملل)[٣]. والله تعالى أعلم.

**

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٢)، وذكره مقاتل في تفسيره (١/ ١٤١)، والواحدي في البسيط (٣/٣٥٥).

(٢) جامع البيان للطبري (١/ ١٠٧).

(٣) جامع البيان للطبري (١/١٠٨). بتصرف

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالرحمات، وعلى آله وأصحابه أهل المكرمات، وبعد:

فإن هذه الدراسة أعطت تعريفاً بالخطيب الشربيني، وتوجيهاته بالعرف في تفسيره السراج المنير، ومن خلال دراستي توصلت إلى مجموعة من النتائج، أُجملها فيما يلي:

١ـ بروز الجانب الفقهي في تفسير الخطيب الشربيني وعنايته به جاء لأنه فقيه بارع معدود من كبار فقهاء الشافعية في عصره.

٢ـ ظهور ثقافة الخطيب الشربيني وبروزها في كتبه؛ من حيث تنوع مصادره، وكثرة نقولاته.

٣ـ أظهرت هذه الدراسة عناية الخطيب الشربيني بعلوم التفسير من أسباب نزول، وناسخ القرآن ومنسوخه، وتفسير بالمأثور من حديث، وأقوال الصحابة والتابعين، وتنبيه على بعض الإشكالات في التفسير... وغلبة هذه العلوم على أقواله التفسيرية، ولا غرابة؛ فالخطيب الشربيني إمام مفسر كبير.

٤ـ تبين من خلال دراسة توجيهات الخطيب الشربيني التفسيرية في كتبه عدم اعتماده على الروايات الإسرائيلية كما هو حال كثير من المفسرين في التفسير بالمأثور، وذلك راجع لتمكنه من علوم الحديث ومعرفة الصحيح من السقيم.

٥ـ تميز الإمام الخطيب الشربيني في معرفة الحديث، والاستدلال به، ورد الوهم الذي وقع فيه بعض الرواة، والاستشهاد بالسنة في تفسير القرآن وبيان أحكامه.

٦ـ عناية الخطيب الشربيني باللغة وعلومها كانت واضحة، ولعل السبب في ذلك: الارتباط الوثيق بين علمي التفسير واللغة؛ ودراسة هذا العلم تكشف الكثير عن القضايا التفسيرية المهمة.

**

ثبت المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.
- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم ابن الأثير الجزري، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
- إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني الشافعي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.
- آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان، لبدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
- الاستنباط عند الخطيب الشربيني في تفسيره السراج المنير، لأسماء بنت محمد بن عبدالعزيز الناصر، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام، الرياض، ١٤٣٧هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الأعلام، للزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، المحقق: أحمد عبد الله القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤١٨ هـ.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.

– التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، ط١، ٢٠٠٩م.
– التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط ١، ١٩٨٤م.
– التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
– التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
– التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لمحمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
– التفسير الميسر، لنخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٣٠هـ.
– التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط١٩٩٧،١م.
– التفسير والمفسرون، لمحمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
– التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.
– تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، نشر وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ.
– تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن (ابن عساكر)، تحقيق: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ

- تحفة الفقهاء، لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، هذا الكتاب هو أصل كتاب: بدائع الصنائع للكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، لعبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي البكري العجيلي، تحقيق: حسن بن علي العواجي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير)، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل)، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- تفسير ابن عادل (اللباب في علوم الكتاب)، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- تفسير ابن عرفة، لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢١هـ.
- تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، لأبي الفضل محمود الألوسي، صححه: محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، لعلي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ.
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) لجمال الدين محمد بن محمد سعيد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: عبدالرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي، تحقيق: محمد الطيب، المكتبة العصرية، بيروت ط١، ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، لعلي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.
- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، لمحمد علي طه الدرة، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ.
- تفسير القرآن، لأبي بكر محمد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوري، تحقيق: سعد ابن محمد السعد، دار المآثر، المدينة، ط١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير الماوردي (النكت والعيون)، لأبي الحسن علي محمد بن حبيب الماوردي، تعليق: السيد بن عبدالمقصود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للإمام عبدالله بن أحمد النسفي، اعتنى به: عبدالمجيد طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- تفسير عبدالرزاق، للإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م
- تكملة المعاجم العربية، لرينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ٢٠٠٠م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- الجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة، لعبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- جمهرة اللغة، لابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط١، ١٤٢٨هـ.

– حاشية الجَمل على الجلالين (المسمى الفتوحات الإلهية)، لسليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٠٠م.
– الخطط التوفيقية الجديدة، لعلي باشا مبارك، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط١، ١٣٠٦ هـ.
– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ٢، ت ٢٠١٣م.
– الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيرت، ط١، ١٤٠٧هـ.
– دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ.
– درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، لعلي حيدر خواجه أمين أفندي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
– روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، دار المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
– الروض الداني (المعجم الصغير)، لأبي القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي، تحقيق: توفيق بن عبدالله بن مسعود الحاج الزنتاني، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.
– السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ط١، ١٢٨٥ هـ.
– السنن الكبرى. لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
– سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ.
- سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ هـ.
- ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
- شرح منظومة القواعد الفقهية للسعدي، لخالد بن إبراهيم الصقعبي، المكتبة العربية الكترونية، الرياض، ط١، ٢٠١٢م.
- صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤١٩هـ.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- العباب الزاخر واللباب الفاخر، لرضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني الحنفي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الحرية، بغداد، ط١، ١٩٨١م.
- علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٧٩هـ.
- فتح القدير (تفسير الشوكاني)، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، لشرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ.
- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.
- قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن، لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: سامي عطا الله حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ط١، ١٤٢٥هـ.

- قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط٢، ١٤٢٩هـ.
- قواعد التفسير جمعا ودراسة، لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لمحمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ـ الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: أيوب بن موسى الحسيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- لسان الميزان، لابن حجر أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م
- المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، دار بيت الأفكار الدولية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

– المحيط البرهاني في الفقه النعماني، لبرهان الدين أبو المعالي محمود بن أحمد البخاري الحنفي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

– المحيط في اللغة، للصاحب ابن عباد أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

– المخصص، لابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

– المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

– المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.

– المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، لأبي الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي البغدادي، المحقق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ.

– المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- المعجم الوسيط، المؤلف: إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٥، ٢٠١١م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، ط١، ١٣٩٢هـ.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم) وليد بن أحمد الزبيري وآخرون، مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، ط١، ١٤٢٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.
- مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،١٤١٦هـ.
- مجموعة رسائل ابن عابدين، لابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز

الحنفي الدمشقي، تحقيق: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

- مسند أبي يعلى الموصلي، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: تحقيق: سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد، تحقيق: يحيى مراد مكتبة الفلاح – الكويت، ١٤٠٨
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف بن إليان بن موسى سركيس، مطبعة سركيس بمصر، ط١، ١٣٤٦ هـ.
- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
- مناهج المفسرين، لمنيع عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.

- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عزَّ وجل واختلاف العلماء في ذلك، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: سليمان بن إبراهيم اللاحم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٢،١هـ.
- الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل، لهبة الله بن سلامة المقري، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
- نظرية العرف، عبد العزيز الخياط، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١، ١٣٩٧هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.
- نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه، لأبي الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي البغدادي، المحقق: محمد أشرف علي المليباري، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٣، ١٤٢٣هـ.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- الوسيط في المذهب، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وبهامشه: شرح مشكل الوسيط، لأبي عمرو عثمان بن الصلاح، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.
- الوسيط في المذهب، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وبهامشه: شرح مشكل الوسيط، للإمام أبي عمرو عثمان بن الصلاح، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

– الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي النيسابوري أبو الحسن، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

***